



في معزل عن الأمم

منذ ٥٥ سنة والعرب يعتدّون بتفوّق اخلاقي على الاسرائيليين بسبب قيام مجموعة صهيونية ارهابية كان يديرها اسحق شامير (هو نفسه الذي اصبح رئيساً للوزراء في ثمانينات القرن الماضي) باغتيال فولك برنادوت وسيط الامم المتحدة في فلسطين ابان حرب ١٩٤٨ فكيف سنتعامل الآن، من وجهة النظر الاخلاقية عينها، مع الاعتداء الارهابي الذي دمر مبنى الامم المتحدة في بغداد واودى بحياة مندوبها اليها، سيرجيو فييرا دي ميللو؟

السؤال لا معنى له الا بمقدار ما يقرّ العرب انهم مسؤولون معنوياً عن هذا الاعتداء الارهابي، وهذا لا يبدو حاصلًا. على العكس، فان صحفنا تزخر بالغمز الى وجود "مؤامرة" يفهم من احياءات الغامزين انها تُنسب الى الولايات المتحدة بحجة ان الاحتلال الاميركي في العراق هو اول من يفيد من عرقلة دور الامم المتحدة. بل ان العقل المؤامراتي ذهب ببعض المتشاطرين خطوة ابعد نحو الهذيان، فراحوا يستذكرون قضية اغتيال برنادوت، ولكن اي استذكار؟ من اجل رمي الكرة كالعادة في الملعب الاسرائيلي!

اين تكون مصلحة اسرائيل في ذلك؟ أليست لديها أولويات اخرى؟ هل صار لديها انتحاريون تحركهم حتى في العراق؟ غير مهم. ألم ينسج الخيال السياسي قبل ذلك نظريات حول قيام "الموساد" باعتداءات ١١ ايلول ٢٠٠١؟ والولايات المتحدة نفسها، أليس تفجير مقر الامم المتحدة في بغداد ضربة لهيبتها؟ الا يعقد الامور امامها؟ أيضاً غير مهم بالنسبة الى وعي ما دون السياسة الذي سبق ان نفى وظل ينفي مسؤولية بن لادن عن تفجيرات نيويورك حتى بعدما تبناها تكراراً عبر اشربة الفيديو.

بيد ان الانحدار الاخلاقي في مقاربة العرب لشؤونهم وشؤون العالم لم يعد يفاجئ أحداً منذ افضى شيوع الاحساس بانهم والمسلمين ضحايا كل مؤامرات الدنيا، الى تبرير ما لا يبرر. وهو الامر الذي تشارك فيه الفكر البنلادني والفكر الصدامي على حد سواء. فمن مآثر الاول مثلاً ان تدخل الامم المتحدة لنزع الاستعمار الاندونيسي عن تيمور الشرقية، حرب على الاسلام! للمناسبة، لن يكون غريباً ان صدر في يوم قريب بيان لتنظيم "القاعدة" يدعي ان تفجير بغداد هو رد "جهادي" على استقلال تيمور الشرقية باعتبار ان سيرجيو دي ميللو كان اشرف على المرحلة الانتقالية فيها. اما الفكر الصدامي الذي بات يسير مقتعاً في اكثر من عاصمة عربية، فهو الذي يعدّ مجلساً يضم معظم ألوان الطيف السياسي العراقي غير تمثيلي، ويصفق لكل عملية تؤخر استعادة العراق استقلاله، شرط ان تكون هذه العملية مسلحة وأياً تكن ضحاياها.

قطعاً، ليس المقصود ان يؤخذ العرب اجمعين بجريرة اقلية منهم. الا ان التعامي عن اي مسؤولية اخلاقية او فكرية عربية حيال ما يحصل في العراق، يبرر التعميم ما لم تصدر اصوات قوية تدين هذا الانحراف الرهيب وتتنصل من التواطؤ الاعلامي والسياسي الذي اتاحه.

ولا تكفي الادانة الرسمية للعمل الارهابي الاخير ضد الامم المتحدة، فهذا اضعف الايمان بالنسبة الى مجموعة من البلدان تحتاج في العمق الى المنظمة الدولية، بل المطلوب مراجعة لسلوك عربي عام تميّز، بعد سقوط نظام "البعث" في بغداد، باستعجال المقاومة، اي مقاومة، والتهليل لكل عمل



مسلح بتلبس لبوسها. فصار ضرب انابيب النفط مقاومة، وحرمان الناس من المياه مقاومة، وقصف سجن ابو غريب مقاومة.

ان يكون في العراق مواطنون يقومون بالتصدي للجنود الاميركيين، فهذا اكيد. وان يقوم بعضهم بذلك بدافع الغيرة الوطنية، فهذا ممكن. اما ان تُختصر هموم الشعب العراقي بـ"مقاومة الاحتلال"، فهذا لا يصح الا اذا كنا قررنا سلفاً ان الشعب في العراق لا يزال مفهوماً افتراضياً، كما كان في ماضٍ غير بعيد، ايام صدام حسين، حين تغاضت معظم القوى السياسية العربية عن اوجاعه الحقيقية بحجة ان اميركا عدوة الشعوب.

لا شيء يؤكد في طبيعة الحال ان مثل هذه الاعمال لم تكن لتحصل لولا الالتباس في مواقف العديد من الحكومات العربية الراضية حتى التحاور مع مجلس الحكم الانتقالي في العراق، او في تغطية الاعلام العربي، الرسمي والخاص والضائع في منزلة بين منزلتين. لكن المؤكد ان غياب الوضوح الذي يرقى احياناً الى دعم معنوي للارهاب، هو الذي يضعنا اليوم في الجانب المظلم من الصورة حيث يُقتل داعية السلام.

والاكثر تأكيداً من ذلك ان الخروج من حال اللامبالاة الاخلاقية لن يكون امراً سهلاً اذا لم تتضافر جهود نهضوية جبارة تقول للعرب قبل غيرهم انه يمكنهم الخروج من الجانب المظلم. وليكن اول الغيث مبادرة من جمعيات اهلية هنا وهناك، او حتى من الحكومات، لاطلاق اسم سيرجيو فييرا دي ميللو على ساحات عامة في مدننا تجبرنا على التذكر اننا لسنا في معزل عن اتحاد الامم، وانها ليست بالضرورة ضدنا.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000700	
Media	(Support)	HC
Title		في معزل عن الأمم
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٨/٢٢ 22/8/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اسحق شامير – فولك برنادوت – فييرا دي ميللو
	Locations	فلسطين – اسرائيل – ولايات متحدة – عراق – بغداد
	Dates	١٩٤٨ – ١١ أيلول ٢٠٠١
	Themes	عرب – اسرائيل – صراع عربي اسرائيلي – فلسطين – عراق – احتلال اميركي للعراق – سقوط نظام بعث في بغداد – حرب ١٩٤٨ – بغداد
Subject		